

الفصل السابع المبتكرون للأفكار المستحدثة كفة منحرفة عن تيار الفكر العام

إذا كان ثمة فرد لا يسير بنفس السرعة التي يتحرك بها أقرانه ،
فسيب ذلك أنه يضل لنداءات تأييده من مصدر مخالف .

« هنري ديفيد ثورو »

عام ١٩٠٦

من بين فئات المتبنين جميعاً ، قد تكون فئة المبتكرين للأفكار
المستحدثة أكثر الفئات إثارة لاهتمام علماء الاجتماع . ولو أردنا أن نعرف
المبتكر فإننا نقول إنه الشخص الذي يسبق غيره من أفراد مجتمعه في مجال
ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . غير أن هذا النوع من الناس لا يكون
دائماً أكثر أفراد المجتمع كسباً لاحترام أقرانه وهو يفضل أن يوصف
بالجرأة والإقدام على أن ينال احترام الناس . ونحن نجد في هذه الفئة
مجالاً خصباً لدراسة النظريات المتعلقة بخروج الناس عن تيار
الفكر العام .

والمبتكر للأفكار المستحدثة يلعب دوراً هاماً في عملية التغيير الاجتماعي .
ومن الجائز ألا يكون قائداً محترماً من قادة هذا التغيير ، ولكن ما من
شك في أنه عندما يتبنى فكرة جديدة فإنه يدفع أقرانه إلى أن يكونوا على
بيته من هذه الفكرة المستحدثة . وإذا ثبت جدوى الفكرة فقد يتغير
الشك المبدي في قلوب الزملاء والأصدقاء ويتحول في النهاية إلى قبول للفكرة
وتسليم بفائدتها .

على هذا يمكن القول بأن المبتكر للآراء المستحدثة قد لا يعتبر من
المؤثرين الحقيقيين في حياة أفراد مجتمعه ، ولكنه قد يسهم إسهاماً حقيقياً

في إعداد الاذهان للتغيير المرتقب وذلك عن طريق تبنيه الأفكار الجديدة ووضعها تحت أنظار قادة الفكر المحليين .

والفكرة الجديدة تأتي عادة إلى المجتمعات عن طريق المبتكر الذي يستعين على ابتكارها بمصادر للمعلومات محلية وخارجية .
هذا الفصل يهدف إلى الحديث عن اتجاهات المبتكرين ، وهي الاتجاهات الخارجية عن السياق العام ، كما يراها الآخرون ممن ينتمون إلى نفس المجتمع ، وكما يراها المبتكرون أنفسهم .

الافتراض التي سبب أنه اعتنقها المبتكرون :

وموضوع انحراف فئة المبتكرين عن السياق العام للتفكير السائد في مجتمعهم ، كان دائماً موضعاً للحوار العميق بين علماء الاجتماع . لقد ذكر « لينتون » ، عام ١٩٥٢ أن « دوافع المبتكرين ومستوياتهم الخلقية والنفسية تبدو كأنها متنوعة الانجازات ، ولكن من الأسلم القول بأن مستوياتهم الخلقية والنفسية قلما تكون من النوع الشائع في بيئاتهم . والواقع أن أمثال هؤلاء الأشخاص لا ينسجمون عادة بسهولة مع أقرانهم في البيئات التي يعيشون فيها ، وفي الوقت ذاته يعانون من الأحكام السائدة في هذه البيئات وتعوق تقدمهم الشخصية الغالبة في مجتمعهم » . كذلك وجد « بارنيت » ، عام ١٩٤١ أن « المتذمرين ، أو العصاة ، أو الناقين ، أو العاجزين هم المهيئون قبل غيرهم لقبول التغيرات الثقافية والأفكار المستحدثة » .
لقد أطلق « بارنيت » ، على فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة والمعتنقين لها كلمة « الهامشين » . ومن المحاولات التي بذلت لإيجاد المصاحبة بين هذه الآراء المتضاربة ، تلك التي قام بها « آدمز » ، عام ١٩٥١ ، قد وجد أن رأى « بارنيت » ، عن فئة المبتكرين والمعتنقين للأفكار المستحدثة ثبتت صحته في الحالات التي كان فيها التغيير سريعاً وعنيفاً ، أما في الحالات التي كان فيها

التغيير تدريجياً فإن أفراد هذه الفئة اكتسبوا احترام زملائهم وتقديرهم .
ووجد « بوتى » عام ١٩٦١ أن أفراد هذه الفئة اكتسبوا احتراماً خاصاً
فى قرية مكسيكية تعرضت لموجة قوية من التغيير الاجتماعى .

ووجد « ييلتو » عام ١٩٦٠ شواهد مشابهة فى مجال المقارنات التى قام
بها على المركز الاجتماعى لأفراد هذه الفئة من الإسكيمو وهنود البويبلو .
ومجتمع الإسكيمو يتسم بالنزعة الفردية وفى هذا المجتمع يكافأ المبتكر على
نزعتة التجديدية ، أو على الأقل يجد من يشجعه ويعاونه . ومعظم
الأفكار المستحدثة لا يكون لها تأثير كبير على الأشخاص الذين لا ينتسبون
للدائرة الضيقة التى يعيش فيها المبتكر للأفكار المستحدثة . وفى بيئات
الإسكيمو يكون ذوو المراكز الاجتماعية العالية هم المبتكرون للأفكار
المستحدثة . أما فى مجتمع « باحث عن التجانس العام » كمجتمع « البويبلو »
فإن معظم الأفكار المستحدثة يكون لها نتائج تلحق أفراد المجتمع أجمعين .
هنا لا يشترط فى مبتكر الفكرة المستحدثة أن يتمتع بمكانة اجتماعية عالية .
والواقع أن هذا المبتكر ليس لديه ما يحسره بسبب مسلكه .

وبالرغم من أننا بصفة مبدئية لانرى اتفاقاً عاماً على انحراف المبتكرين
للأفكار المستحدثة عن السياق العام الشائع فى مجتمعاتهم ، فإننا سنفى هذه
النقطة حقها من دراسة وبحث فى ضوء النظريات والبحوث التى سوف
نذكرها فى جزء لاحق من هذا الفصل . ولسوء الحظ ، تعرضت البحوث
التي أجريت سابقاً على هذه الفئة لعييب أساسيين :

١ — عدم استخدام المتوسطات القياسية عند اختيار أفراد هذه الفئة .

٢ — وضعت التعميمات على أساس عدد صغير من البحوث والدراسات ،

ومن ثم فالحاجة ماسة لإجراء البحوث على أساس عينات أكبر من أفراد
هذه الفئة .

المبتكرون لمؤلفي المستودع والمخترعون :

أثبتت نتائج البحوث السابقة أن جميع الناس لا يتبنون الفكرة الجديدة في وقت واحد . وعملية التبني في ذاتها يمكن أن تقسم إلى أقسام يخصص كل قسم منها لمجموعة من المتبنين . وأول ٢٥ في المائة من المتبنين في مجتمع من المجتمعات نطلق عليهم كلمة « المبتكرون » ، وهذه النسبة المئوية إنما هي شيء جزائي تم تحديده على هذه الصورة لأن معظم التوزيعات الإحصائية للمتبنين للأفكار المستحدثة وجد أنها بمرور الزمن تأخذ شكلاً يقرب من الشكل العادي ، و ٢٥ في المائة من الأفراد يتجمعون إلى يسار انحرافين قياسيين بالنسبة للوقت الذي تم فيه التبني . والأفراد قد يترتبون من حيث قابليتهم لابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها على أساس فكرة مستحدثة واحدة أو على أساس الوقت الذي وقع فيه التبني لعدة أفكار مستحدثة وهذه القابلية مقاسة بمقياس خاص بها .

والمبتكرون للأفكار المستحدثة ليسوا بالضرورة نفس من نطلق عليهم كلمة « المخترعون » . و « المخترعون » هم الأشخاص الذين يخلقون أفكار جديدة . إنهم يحددون ما بين عناصر ثقافية عديدة ويصنعون منها تركيبات فكرية جديدة ، والمبتكرون للأفكار الجديدة يتبنونها في أنفسهم ولكنهم لا يخترعونها بالضرورة ، وهذا ليس معناه أن المبتكرين للأفكار المستحدثة لا يمكن أن يكونوا مخترعين أو العكس بالعكس . والتعبيران ليسا منغزايين عن بعضهما كما أنهما ليسا مختلطتين اختلاطاً كاملاً . لقد وجدنا أن عدداً كبيراً من المبتكرين للأفكار المستحدثة في مجال الزراعة في ولاية « أريهايو » يمتلكون الأدوات والآلات الزراعية الحديثة كما أنهم يخترعون لأنفسهم ما يلزمهم من آلات . وفي مجالات معينة قد لا نجد ما يكفي من البحوث العلمية التي تدل على أن المتبنين للأفكار

المستحدثة قد يكونوا في نفس اوقات مخترعين وإن كانت أمثلة ذلك عديدة .
والخلاصة أن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمخترعين نشأتان
منفصلتان وإن كانتا تشابكان وتختلطان ومن المؤكد أنها ليسا إسمين
لشيء واحد .

الانحراف :

والانحراف يُعرف بأنه الخروج على السياق العام للمعايير السائدة
في مجتمع معين . والمعيار هو النمط الذي كثيراً ما ينشكّل وفقاً له السلوك
الصريح الذي يصدر عن الأفراد المنتمين لمجتمع معين . والانحراف مسألة
نسبية . ومن الضروري ملاحظة أن السلوك الانحرافي في مجتمع معين قد
لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر . من الواجب إذن أن نحدد بشكل دقيق معالم
المجتمع الذي ينحرف الفرد عن سياقه ويخرج على معاييرهِ .

والمتمسكون منجرفون شأنهم في ذلك شأن المبتكرين . إنهم يمثلون
أكثر مما يجب للأفكار التقليدية وهذا الامتثال يتحقق بإظهار الولاء لهذه
الأفكار بعد أن يكون قد رفضها معظم أفراد المجتمع .

لقد ناقش «ميرتون» عام ١٩٥٩ و «دروين» في نفس العام المبالغة
في الامتثال باعتبارها نوعاً من السلوك الانحرافي ، فقال «ميرتون» ، إن
المبالغة في الامتثال ما هي إلا الوجه الآخر المقابل للتمرد والانفكاك ،
وهي صورة من صور السلوك الانحرافي في المجتمع تتضمن «دفرة» من
عنصر معين ، كما هو الحال بالنسبة للتمرد والانفكاك الذي يتضمن «قلة»
من نفس هذا العنصر عند ما تقاس الصورة بالمقاييس الجمعية . وكما قرر
«ميرتون» ، بالرغم من أن الباحثين سبق لهم اكتشاف عنصر «المبالغة»
في الامتثال ، فإن التمييز بين أنماط الامتثال وبين السلوك الانحرافي عن
المعايير السائدة في المجتمع لم يتم توضيحه حتى الآن .

والممتلكون يبالغون في امتثالهم للأفكار التقليدية إلى درجة أنهم يبدوون لغيرهم كأنهم خارجين على السياق العام . أما فئة الغالبية المتقدمة والغالبية المتأخرة فإن درجة انحراف أفرادها منخفضة إذ أنهم يمثلون المستوى الأوسط أو السلوك النمطي الشكلي . وبالرغم من ذلك فإن هاتين الفئتين متميزتان لأن الثانية تبالغ في الامتثال قليلاً في حين أن الأولى تقلل من الامتثال شيئاً ما وذلك في الحالين بالنسبة للنمط الشكلي العادي . أما فئة المتبنين الأوائل فإنها تقلل من الامتثال إلى درجة كبيرة وهي في ذلك تفوق فئة الغالبية المتقدمة وبذلك تصبح أكثر انحرافاً . وفئة المبكرين تقلل من الامتثال للمعايير السائدة بحيث يبدو أفرادها كأنهم منحرفون عن السياق العام بدرجة كبيرة . بذلك نقول إن درجة عالية من الانحراف عن السياق العام تحدث في ظروف المبالغة في الامتثال للمعايير كما تحدث في ظروف الاقلال من هذا الامتثال .

وثمة ميزان بسيط يمكن استخدامه هنا لتلخيص العلاقات بين الامتثال، والانحراف ، وفئات المتبنين للأفكار المستحدثة .

فئة المتبنين	نمط الانحراف	نمط الامتثال
فئة المبكرين	انحراف عالي الدرجة	عدم الامتثال
• المتبنين الأوائل	شيء من الانحراف	شيء من عدم الامتثال
• الغالبية المتقدمة	انحراف منخفض الدرجة	إمتثال
• • •	• • •	إمتثال
• المتكسبين	انحراف عالي الدرجة	مبالغة في الامتثال

هل فئة المبتكرين لها مظهر المستحدثه معروفة؟ الدراسات التي أجريت
على هذه النقطة :

و لتوضيح فكرة السلوك الانحرافي عند فئة المبتكرين الأفكار
المستحدثة والمتبنين لها ، بذلت جهود كبيرة للحصول على المادة العلمية
اللازمة لذلك وكان معظمها مستمداً من دراسة استقصائية للمبتكرين في
مجالات الزراعة . هذه المادة جاءت عن طريق تخصيص عينتين مختلفتين
لهذا الغرض كما تمت مقابلات شخصية مع أفراد عينة مؤلفة من ١٠٤ فلاحين
من فلاحى ولاية « أوهايو » أختيروا من كافة أنحاء الولاية عام ١٩٥٧
اختياراً عشوائياً . هذه العينة اشتملت على مبتكرين الأفكار المستحدثة
كما احتوت على أفراد من فئات المتبنين الأخرى . ولما كانت هذه الدراسة
لا تقوم إلا على عدد قليل جداً من فئة المبتكرين (ثلاثة فقط) فإن عينة
المبتكرين هذه زاد عدد أفرادها عندما طلب من أربعة وأربعين خبيراً
من خبراء الخدمات الاجتماعية في الولاية أن يقوموا بتعيين عدد ممن يظنون
أنهم ينتمون إلى هذه الفئة في المناطق التي يشرفون عليها . ومن بين المائة
والخمسین فلاحاً الذين وقع عليهم اختيار الخبراء سابق الذكر ، ثبت أن
ستة وتسعين فلاحاً فقط ينطبق عليهم هذا الوصف أى أنهم يتبنون فعلاً
الأفكار المستحدثة في مجال الزراعة ، أما الأربعة والخمسين فلاحاً الباقين
فاستبعدوا من الدراسة .

لقد تم التمييز بين المبتكرين الأفكار المستحدثة وغير المبتكرين من
الفلاحين الذين تم اختبارهم من قبل الخبراء عن طريق الاستعانة بمقياس
خاص يقيس مدى تبني الفلاحين الأفكار المستحدثة في مجال الزراعة .
والعبرة هنا بالحقيقة الدالة على أن المبتكر العادى للأفكار المستحدثة لا بد
أن يكون قد ابتكر وتبنى الجديد من الأفكار قبل غيره من الفلاحين

العاديين بفترة زمنية معينة . والدراسة الحالية تقوم أساساً على مادة علمية مستمدة من عينة مكونة من ٩٩ فلاحاً من فئة المبتكرين و ١٠١ فلاحاً لا يطلق عليهم هذا الوصف والجميع من العاملين بميدان الزراعة بولاية «أوهايو» .

تحديد صفة الانحراف في العينة المختارة للدراسة :

لقد استخدمت طريقتان في الدراسة الاستقصائية الحالية للتعلم في فهم صفة الانحراف لدى فئة المبتكرين . الأولى الانحراف كما يبدو في أعين الآخرين ، أى هل الأفراد الآخرون في البيئة ينظرون إلى أفراد هذه الفئة باعتبارهم منحرفين ؟ والثانية الانحراف كما يبدو في أعين أفراد هذه الفئة أنفسهم ، أى هل المبتكرون ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة في بيئتهم ؟

١ - الانحراف كما يبدو في أعين الآخرين :

سُئل الفلاحون التسعة والتسعون من ولاية «أوهايو» ، وجميعهم من فئة المبتكرين :

« مارأى جيرانكم من الفلاحين في كثير من الأفكار الزراعية المستحدثة التي تلتزمون بها في أعمالكم الزراعية ؟ » . لقد كان أكثر من نصف الإجابات تشير إلى وجود نوع من عدم الاحترام لدى جيران هذه الفئة ، كما أجاب عدد كبير إجابات كالآتي :

« إن الطريقة التي أدير بها مزرعتي لا يقصد بها اكتساب شعبية خاصة بين أقراني من الفلاحين » .

« حوالى ٥٠ في المائة من زملائي الفلاحين يعتقدون أن بي مساً من الجنون ، أما النصف الآخر فإنهم لعل ثقة من ذلك » .

ومعظم الإجابات الأخرى تتجه الوجهة التالية : « جيرانى فى مبدأ

الامر يحسون نحوى بكثير من الرية ولكن الإقناع يملأ نفوسهم عندما يتأكد لديهم نجاح الأفكار الجديدة التى أتبتها .

د بعض أفراد الجيرة يتحدثون عنى بطريقة تتم عن الاحتقار ولكنهم يراقبون ما أفعل باهتمام عميق والكثير منهم ينسجون بعد فترة على منوالى .

هذه الشواهد ، مع النتائج التى توصل إليها د ويكلنج ، عام ١٩٤٩ ، تشير إلى أن فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة ينظر إليهم أفراد المجتمع باعتبارهم منحرفين . ومن الضرورى أن نذكر هنا حقيقتين متصلتين بهذه القضية :

١ — الأولى أن درجة انحراف المبتكرين كما يراها أقرانهم فى البيئة تقررها المعايير الاجتماعية السائدة فى تلك البيئة فيما يختص بهذا الموضوع ، موضوع القابلية لابتكار الأفكار المستحدثة .

لقد وجد د آدامز ، عام ١٩٥١ ، و د تونى ، عام ١٩٦١ ، و د بلتو ، عام ١٩٦٠ ، و د روجرز ، و د بيردج ، عام ١٩٦٢ ، و د فان دى بان ، و د مينزل ، عام ١٩٦٠ أن المبتكرين للأفكار المستحدثة يبدون فى أعين أقرانهم من أفراد التنظيم الاجتماعى الواحد وكأنهم أكثر ما يكونون انحرافاً عندما تكون المعايير السائدة فى هذه البيئة أكثر ما تكون نمسكاً بالتقاليد .

٢ — والثانية أن المعايير السائدة فى تنظيم اجتماعى معين تؤثر على الطريقة التى ينظر بها أفراد هذا التنظيم إلى فئة المبتكرين . وليس الامر مقصوراً على ذلك ، بل إن الفئة التى ينسب إليها الشخص موضوع الاستفتاء من حيث التبنى تقرر هى الأخرى مدى رضائه عن المبتكرين للأفكار المستحدثة أنفسهم .

والجدول رقم (٧ - ١) يحتوى على مادة عليية مستمدة من دراستين استقصائيتين عن العلاقة بين الفئة التى ينتسب إليها الفرد من ناحية التبنى للأفكار المستحدثة وبين ما يشعر به من رضا فى سلوكه تجاه أفراد هذه الفئة ، وإن مكان الفرد من التركيب الاجتماعى فى البيئة التى ينتمى إليها والفئة التى ينتسب إليها من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة ليدوا أنهما تحددان نظرة هذا الفرد إلى هذا التركيب الاجتماعى وهذه الفئة . والمتبنون السابقون نسبياً عن غيرهم فى مجال تبني الأفكار المستحدثة يميلون إلى أن يحسنوا الظن بفئة المبكرين فى حين أنهم ليسوا كذلك بالنسبة لفئة المتبنين المتأخرين . والسبب فى ذلك قد يكون وجود شيء من المعرفة السابقة لدى أفراد فئة المتبنين الأوائل بفئة المبكرين إذ أن المتبنين الأوائل هم أكثر شهاً بفئة المبكرين فى مجال السمات الاجتماعية (الفصل السادس) كما أنهم يتعاونون معهم تعاوناً أعمق .

٢ - الانحراف كما يبررو لضعف المبكرين أنفسهم . المبكرود

ينظرون إلى أنفسهم كمنحرفين عن المعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمعهم :

سُئلت مجموعة من فلاحي دأوايو ، عما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم « من بين الأوائل ، فى مجال تبني الأفكار المستحدثة ، أو أنهم « سابقون قليلاً ، عن أوساط الفلاحين فى هذا الموضوع إلى آخره ، كما هو موضح فى الجدول رقم (٧ - ٢) . هذا السؤال يهدف فى الواقع إلى تحديد الدرجة التى ينظر بها الفرد فى كل فئة من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة إلى نفسه باعتباره منحرفاً عن المعايير الاجتماعية السائدة فى المجتمع الذى ينتسب إليه والمتعلقة بتبني الأفكار المستحدثة .

جدول رقم (٧ - ١)

فئات المتبئين للأفكار المستحدثة

وترتيبهم على أساس نظرتهم الودية تجاه فئة المبتكرين

النسبة المئوية لما في سلوكهم من اتجاه ودى نحو فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة		فئات المتبئين للأفكار المستحدثة
بالنسبة لفلاحى دأبوا، عام ١٩٥٧	بالنسبة لفلاحى دأبوا، عام ١٩٦١	
١٠٠	١٠٠	١ - فئة المبتكرين
١٠٠	١٠٠	٢ - المتبئين الأوائل
٦٩	٧٥	٣ - الغالبية المتقدمة
٥٤	٣٦	٤ - د المتأخرة
٢٧	٠	٥ - د المتلكئين
٦١	٥٧	جميع الأفراد دون تصنيف

والجدول رقم (٧ - ٢) يوضح أن ٨٩ في المائة من فئة المبتكرين للأفكار المستحدثة كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير السائدة في مجتمعهم . كذلك قال ٥٣ في المائة من هؤلاء إنهم من بين السباقيين في مجتمعهم إلى تبنى الأفكار المستحدثة ، في حين أن ٣٦ في المائة قالوا إنهم من ناحية تبنى الأفكار المستحدثة يعتبرون أنفسهم فوق المتوسط . كذلك اعتبر ٤٧ في المائة من المتلكئين في مجال تبنى الأفكار المستحدثة أنفسهم أنهم أقل من المتوسط . وكل من فئتي المبتكرين

والممتلكين كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم أكثر انحرافاً عن المعايير الاجتماعية السائدة في مجتمعهم بشأن تبني الناس للأفكار المستحدثة من بقية الأشخاص الذين كانوا موضوعاً للاستفتاء .

جدول رقم (٧ - ٢)

الانحراف كما يبدو لأعين أفراد فئتي المبتكرين والممتلكين

الفئات			الفكرة الشخصية عن الانحراف
فئة المبتكرين	لا ينتمون لفئة معينة	فئة الممتلكين	
١٢	١٦	٥٣	من أوائل المتبنين
٦	١٥	٣٦	سابق نوعاً ما على المتوسط
٣٥	٤٩	١٠	حول المتوسط
٢٣	١٤	١	متأخر نوعاً ما عن المتوسط
٢٤	٦	٠	من بين المتأخرين
١٠٠	١٠٠	١٠٠	النسبة المئوية الإجمالية
١٧	١٠٤	٩٨	إجمالي العدد

الجماعات التي يعتمد عليها المبتكرين

في موقفهم تجاه غيرهم من أفراد البيئة

اقترح د كوهن ، عام ١٩٥٩ ثلاثة أوضاع للانحراف :

- ١ - إما أنه يستمر في طريقه بالرغم من المقاومة .
- ٢ - وإما أنه يقطع الصلات بينه وبين الجماعات التي ينتسب إليها ويتقرب من جماعات جديدة يتقوى بها .

٣ — وإما أنه يظل في طريقه وحيداً دون الاستعانة بأية جماعة من جماعات الإسناد .

والبحوث السابقة توحى بأن الوضع الثانى قد يكون أقرب الأوضاع الثلاثة من نفوس المنحرفين . إننا نحتاج عادة إلى من نتحالف معه لكي نقضى على خضوعنا للمعايير السائدة في المجتمع الذى نتنسب إليه . والمنحرفون يتسمون عادة بالتححرر من قيود التبعية للجماعة القابضة على زمام المعايير السائدة في البيئة كما يتميزون بعلاقاتهم بجماعات أخرى يتخذون منها سنداً لهم . وإحدى النتائج المتوقعة للانحراف هي الانتقال من جماعة إسناد إلى جماعة إسناد أخرى أى تغيير جماعة الإسناد .

ومن الدراسة الحالية نستطيع أيضاً أن نستشف بعض الأفكار الخاصة بعلاقات المبكرين بغيرهم . وعلاقات المبكر في مجال الزراعة مع غيره من أفراد بيئته من الجائز أن تنتشر في رقعة جغرافية أوسع بكثير من الرقعة التي تنتشر فيها علاقات الفئات الأخرى من غير المبكرين . أى أن جماعات الإسناد التي يعتمد عليها المبكرون ويرجعون إليها تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي يرجع إليها الفلاحون العاديون . لقد وضع مقياس خاص بمدى الانفتاح على البيئات الخارجية وهو يقيس الاختلافات في التوزيع الجغرافي لجماعات الإسناد . والشخص المنفتح على عالمه الخارجى هو الشخص الذى يبحث خارج بيئته عن المؤثرات التي توجهه ولا يتقيد بما في داخل بيئته من مؤثرات . والمادة العلمية التي يحتويها هذا البحث تدل على أن فئة الفلاحين المبكرين أكثر انفتاحاً على عالمهم الخارجى من غيرهم من الفلاحين . والفلاح المبكر يختلف عن الفلاح العادى ومن ثم لا يتلاءم في سهولة داخل إطار العلاقات الاجتماعية الخاصة بالبيئة المحلية . لقد دلت إجابات تسعة وتسعين فلاحاً من فئة المبكرين للأفكار المستحدثة على وجود فروق واسعة في الأهداف التي يتوخاها الفلاحون

السواح من وراء أسفارهم بحثاً عن الأفكار الجديدة في عالم الزراعة . لقد سئل بعض الأشخاص السؤال التالى : د في خلال العام المنصرم ، هل سافرت خارج بلدك لى ترى بنفسك بعض الأساليب الزراعية الحديثة في مجال التطبيق الفعلى ؟ . أجاب ٧٧ فى المائة من فئة المبتكرين أنهم فعلوا ذلك فعلا . والواقع أن أكثر من نصف هؤلاء كانوا قد سافروا فعلا ليس فقط خارج بلدتهم بل خارج الولاية التى يعيشون فيها كذلك . والقليل من هؤلاء كانوا قد سافروا خارج الولايات المتحدة للاطلاع على الافكار المستحدثة فى عالم الزراعة . وبعض الإجابات التى تعتبر من أكثرها انفتاحاً على العالم الخارجى كانت على المنوال التالى :

« سافرت لأرى المؤسسات التى تعمل فى تسويق اللحوم والألبان فى أمريكا الجنوبية وطرق تخزين القمح فى « كندا ، ولأطلع على الأفكار الجديدة فى تجهيز اللحوم فى « كولورادو ، و « نبراسكا ، .
« زرت مراكز تربية الخنازير فى ولايتى « أيوا ، و « منيسوتا ، ومحطات أبحاث الحيوان فى هانين الولايتين ، .

« كنت مهتماً بدراسة تغذية الحيوان وصناعة الألبان فى ولاية « ميشيجان ، وبزراعة البطاطس بالطرق الآلية فى ولاية « بنسلفانيا ، .

وفى دراسة أجريت على المعتنقين لفكرة الرى الصناعى فى ولاية « أوهايو ، وجد أنهم أعضاء فى روابط أو جماعات للصدافه مع غيرهم من المعتنقين لنفس الفكرة . هذه الروابط وجد أنها منتشرة فى عدة مقاطعات وبلدان ، كما وجد أن ١٦ فى المائة من هذه الفئة لهم علاقات عمل مع أقرانهم خارج الولاية . من هذا نقول إن أفراد هذه الفئة يعتمدون على دعائم خارج بيئاتهم يفيدون منها كلما اضطروا إلى اتخاذ قرارات خاصة بتبنى الأفكار المستحدثة ، وذلك بالرغم من أن الكثيرين من جيرانهم الأقرين قد يسخرون من تبني فكرة الاعتماد على الرى الصناعى فى الزراعة .

والمبتكرون للأفكار المستحدثة ينظر إليهم جيرانهم في العادة بكثير من عدم الاحترام . وتوحى نتائج البحوث بأن المبتكرين للأفكار المستحدثة هم في العادة في مأمن من الخضوع للتأثيرات الصادرة من الجيران والأقران وهي تأثيرات ضاغطة لها سلطة جبرية في بعض الأحيان . على أن الشواهد الحالية أيضاً تشير إلى أن المبتكرين يستمدون المعاونة المدعمة لأفكارهم من مصدر آخر . فبينما يكون هؤلاء الجيران غير مهمين نسبياً لهم كجماعة إسناد، تشير النتائج الحالية إلى أن المبتكرين ينتمون إلى جماعة منفذحة على الخارج ومعاييرها تحبذ ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها . إن جماعات الإسناد هذه لمن شأنها أن تمنح المبتكر تشجيعاً جماعياً كما تنبهه المعاونة السيكولوجية التي تمكنه من الوقوف أمام النقد الصادر من الأفراد الملتزمين لمجتمعه .

مناقشة محدودة

المبتكرون في مجالات غير مجالات الزراعة :

وبالرغم من أن هذا الفصل من الكتاب اهتم اهتماماً خاصاً بالبحوث التي قام بها المبتكرون في مجال الزراعة ، فإن النظريات والتعميمات التي حصلنا عليها هنا في حاجة إلى أن تفحص فحصاً دقيقاً بمعاونة عينات مناسبة مأخوذة من أنواع أخرى من المبتكرين للأفكار المستحدثة الذين قاموا بنشاطهم في مجالات غير الزراعة .

لقد تجمع لدينا حتى الآن بعض الشواهد ذات الصلة بانحراف المبتكرين في مجالات غير الزراعة . فمثلاً وجد « مينتزل » عام ١٩٦٠ أن المبتكرين في عالم الطب والمتبنين للأفكار المستحدثة في ميدان العلاج قد تحرروا من المعايير المحلية السائدة في يديهم الطبية . كذلك وجد « أينوس » عام ١٩٦٠

أن معظم الاختراعات في الصناعات البترولية في الأربعين عاماً الماضية... صدرت عن أناس وثيقي الصلة بصناعة البترول ولكنهم لم يكونوا من العاملين بالمؤسسات البترولية الكبيرة. كذلك وجد د بن دافيد، عام ١٩٦٠ أن...، الطلائع الأولى في مجال البحوث البكتريولوجية ومجال التحليل النفسي تصور لنا الصفات المميزة للمبتكرين والمتبنين للأفكار المستحدثة في المجالات العلمية، أولئك الذين يبدأون فمحيص المشكلات التي تعتبر باعتراف العليين أنها خارجة عن نطاق العلوم. والواقع أن فئة المبتكرين هؤلاء كانوا من صفوف الأطباء الممارسين الذين امتد نشاطهم إلى مجالات البحوث والدراسات الأكاديمية كعمل جانبي...، وبالمثل وجد د ميلر، عام ١٩٥٧ أن المتبنين الأوائل لفكرة التطعيم ضد الجدري لم يكونوا من صميم مهنة الطب.

الأنظر المستحدثة غير المرغوب فيها :

معظم البحوث والدراسات التي أجريت حتى الآن في مجال الأفكار المستحدثة تناولت المبتكرين والمتبنين لتلك الأفكار المتوقع لها النجاح، وقد أوصى الخبراء ورجال العلم بضرورة إجراء هذه البحوث. والسؤال هنا هو هل نحصل على نفس النتائج في حالة ما إذا كان الحكم على الفكرة المستحدثة أنها غير ناجحة وأن رجال العلم لا يوصون بدراستها وإجراء التجارب عليها؟

والدراسة التي قام بها د فرنسيس، عام ١٩٦٠ على انتشار فكرة حاضنات الحشائش تزودنا بجواب جزئي على هذا التساؤل.

هذه الفكرة المستحدثة قامت بتصنيعها وتوزيعها مؤسسات تجارية كبيرة ولم يوص بها لدى الفلاحين الخبراء الزراعيون بسبب ارتفاع سعرها وعدم التأكد من القيمة الغذائية للأعلاف التي تصنع بواسطة هذه الأجهزة.

لقد اعتمد «فرنسيس» في دراسته على مادة علمية مستمدة من عينة هي عبارة عن ٨٨ فلاحاً اختارهم من كافة أنحاء البلاد الأمريكية وكانوا قد تبنوا فكرة حاضنات الحشائش .

لقد ثبت أن ٣٤ في المائة من أصحاب الحاضنات كانوا أيضاً من المبتكرين والمتبنين لأفكار جديدة مطلوبة في مجال الزراعة . هذا الكشف يعطينا بعض الشواهد على أن أفراداً معينين من المبتكرين للأفكار المرغوب فيها قد يبتكرون أيضاً أفكاراً غير مرغوب فيها وذلك في مواجهة الاندفاع الحامس للابتكار والتبني .

والأشخاص الذين تبنوا فكرة حاضنات الحشائش وجدتم «فرنسيس» يميلون إلى تكوين مجموعات إسناد من خارج البيئة وهذه المجموعات تتكون من مالكين آخرين لهذا النوع من الأجهزة . لقد تكشف الأشخاص موضوع الاستفتاء في هذا البحث الخاص بحاضنات الحشائش عن عناصر الانحراف وكانت هذه العناصر واضحة في تقدير هؤلاء لأنفسهم وفي تقدير الآخرين لهم . بل إنه من الممكن أن يعتبر المبتكرون للأفكار المستحدثة غير المرغوب فيها منحرفين . والذين يعتبرونهم كذلك هم المبتكرون للأفكار المرغوب فيها .

الخلاصة :

نحن نعرف الانحراف بالخروج عن المعيار السائد في تنظيم اجتماعي معين . وأهم ما في الانحراف درجته ومكانه النسبي في تنظيم اجتماعي معين . والمبتكرون ، باعتبارهم أول من يتبنى الأفكار الجديدة في التنظيم الاجتماعي وأول من يسعى إلى استخدامها ، هم بالضرورة منحرفين وذلك في فترة تبنيهم لهذه الأفكار . والملتزمون هم أيضاً منحرفون شأنهم في ذلك شأن

المبتكرين ، ولكن المتكلمين يبالغون في امتثالهم للأفكار التقليدية (وحتى بعد أن تكون الغالبية العظمى من أفراد التنظيم الاجتماعى قد فرغوا من تبني الفكرة الجديدة) ، فى حين أن المبتكرين يعتبرون متحررين من هذا الامتثال .

والمبتكرون فى المجالات الزراعية ثبت أن زملائهم من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى ينتمون إليه ينظرون إليهم باعتبارهم منحرفين . أما مدى انحراف هذه الفئة ودرجته فتتوقف من ناحية على :

١ — المعايير السائدة فى التنظيم الاجتماعى عن ابتكار الأفكار المستحدثة وتبنيها .

٢ — الفئة التى ينتمى إليها الشخص موضوع الاستفتاء من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة . والمبتكرون للأفكار المستحدثة ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم منحرفين عن المعايير المطبقة فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتسبون إليه . والمبتكرون فى مجالات الزراعة يسعون عادة إلى ربط أنفسهم بجماعات إسناد أخرى تقيم خارج بيئتهم وهذه تدعم سلوكهم وتشجعهم على السير فى طريقهم الجديد .

من هذا نقول إن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين لها يصغون لنداءات تصدر لهم من مصادر مخالفة .